﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾ [القصص: 85]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

ذِكْـرُ المـرجـعِ القريبِ بعد ذِكْرِ المرجعِ البعيدِ

في مناسبةِ الآيةِ لِما قبلَها وجوهٌ، منها: أنَّهُ ﷺ لمّا شرحَ لرسولِهِ ﷺ أمرَ القيامةِ، واستقصَى في ذلكَ في قولِهِ: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ﴾ [القصص: 83]، والآيات التي تلتها [القصص: 83 - 84]؛ شرحَ لهُ ما يتَّصلُ بأحوالِهِ، فقالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ الآيةَ[1]، وقيل في مناسبتها أيضًا: إنَّه لمّا قرَّرَ ذِكْرَ الآخرةِ الَّتي هي المرجعُ، وكرَّرَهُ، وأثبتَ الجزاءَ فيها، وأنَّ العاقبةَ للمتَّقينَ؛ أتبعَهُ ما هو في بيانِ ذلكَ كالعلَّةِ، فقالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ الآيةَ[2].

ومنها: أنَّه لمّا ذَكَر يومَ القيامةِ، الذي هو مرجعُ الناس جميعًا إلى اللهِ ﷻ، وأشار في الآية إلى دار النَّعيم، التي يدخلها الَّذين لا يريدون علوًّا في الأرض ولا فسادًا؛ ذَكَرَ مرجع أفضل مَن لا يريد علوًّا في الأرض ولا فسادًا في الدُّنيا، وهو النَّبيُّ ﷺ على أرجح أقوال أهل التفسير في ذلك، وتعتبر مناسبة هذه الآية في الوجوه الثلاثة بالنظر للآياتِ التي قبلها مباشرة.

ومنها أيضًا: أنَّهُ ابتداءُ كلامٍ للتَّنويهِ بشأنِ النَّبيِّ ﷺ، وتثبيتِ فؤادِهِ، ووعدِهِ بحُسْنِ العاقبةِ في الدُّنيا والآخرةِ، وبيانِ أنَّ إنكارَ أهلِ الضَّلالِ رسالتَهُ لا يَضيرُهُ؛ لأنَّ اللهَ أعلم بأنَّهُ على هدًى، وأنَّهم على ضلالٍ، بعدَ أنْ قدَّمَ لذلكَ مِنْ أحوالِ رسالةِ موسى عليه السلام ما فيهِ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 19.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 374.

عِبْرةٌ بالمقارنةِ بينَ حالَي الرَّسولَيْنِ وما لَقياهُ مِنَ المُعرِضينَ[1]، وفي هذا الوجهِ الأخير نظرٌ للآياتِ البعيدةِ.

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَرَضَ﴾: (فرض) أصلٌ يدلُّ على تأثيرٍ في شيءٍ مِنْ حَزٍّ أو غيرِهِ[2]، والفَرْضُ: قطعُ الشَّيءِ الصُّلْبِ والتَّأثيرُ فيهِ، كفَرْضِ الحديدِ والقَوْسِ، والمِفْراضُ والمِفْرَضُ: ما يُقطَعُ بهِ الحديدُ[3]، ومعنى قولِهِ جلَّ شأنُهُ: ﴿فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾، أي: أوجبَ عليكَ تلاوتَهُ وتبليغَهُ والعملَ بما فيهِ[4]، أو أنزله عليك.

2) ﴿لَرَآدُّكَ﴾: (ردد) أصلٌ واحد يدلُّ على رَجْعِ الشَّيءِ، تقولُ: رَدَدْتُ الشَّيءَ أَرُدُّهُ رَدًّا، وسُمِّيَ المُرتدُّ بذلكَ؛ لأنَّهُ ردَّ نفسَهُ إلى الكفرِ[5]، وقيلَ: الرَّدُّ: صرفُ الشَّيءِ بذاتِهِ أو بحالةٍ مِنْ أحوالِهِ، فمِنَ الرَّدِّ بالذّاتِ قولُهُ تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾ [الأنعام: 28]، ومِنَ الرَّدِّ إلى حالةٍ كانَ عليها قولُهُ سبحانَهُ: ﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: 149][6]، ويقالُ: استردَّ الشَّيءَ، أي: استرجعَهُ[7]، ومعنى ﴿لَرَآدُّكَ﴾: لَمُرجِعُكَ[8].

3) ﴿مَعَادٍ﴾: (عود/ عيد) أصلانِ صَحيحانِ، يَدُلُّ أحَدُهُما عَلَى تَثْنِيَةٍ في الأمْرِ، والآخَرُ جِنْسٌ مِنَ الخَشَبِ[9]. والعَود: أصلٌ يدلُّ على استمرار الشَّيء امتدادًا أو تكرُّرًا أو تجدُّدًا، ومنه أعواد الشَّجر لامتدادها أو تكرُّر شجر آخر بسببها، ومنه العَود: الرجوع، وتكرَّر لوجود الشَّيء أو لوجود الحال، ومنه: الصَّيرورة والاستمرار، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾﴾ [يس: 39]، ومعادُ الرجل: بلدُهُ؛ لأنَّه يتصرَّف، ثمَّ يعود إليه[10]، وقد اختُلِفَ في المرادِ بالمَعادِ في قولِهِ تعالى: ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾، فقيلَ:

(1) المراغي، تفسير المراغي: 20/ 104، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 191.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والجوهري، الصحاح، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (فرض).
(3) الراغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (فرض).
(4) الزمخشري، الكشاف: 3/ 436.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رد)، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (ردد).
(6) الراغب، المفردات: (ردد).
(7) السمين، عمدة الحفاظ: (ردد).
(8) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 192.
(9) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عود).
(10) جبل، المعجم الاشتقاقي: (عود/ عيد).

المرادُ بهِ الآخِرةُ، وقيلَ: الجنَّةُ، وقيلَ: الموتُ، وقيلَ: مكَّةُ[1]، وقيلَ: المقامُ المحمودُ[2].

## ❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الوعدُ الكريمُ للنَّبيِّ ﷺ بحسن العاقبة في الدُّنيا والآخرةِ

إنَّ الَّذي أوجبَ عليكَ العملَ بأحكامِ القرآنِ وفرائضِهِ لرادُّكَ إلى محلٍّ عظيمِ القَدْرِ في الدُّنيا، اعتَدْتَهُ، وألِفْتَهُ، وهو مكَّةُ، والمرادُ بذلكَ عَوْدُهُ ﷺ إليها يومَ الفتحِ، أو لرادُّكَ إلى المقامِ المحمودِ في الآخرةِ، حيث تنالُ الكراماتِ وعاليَ الدَّرجاتِ، فقُلْ لمَنْ خالفَكَ، وكذَّبَكَ مِنَ المشركينَ: ربّي أعلمُ بالمُهتدي والضّالِّ منّي ومنكُم، وستعلمونَ مَنْ تكونُ لهُ عاقبةُ الدّارِ، ومَنْ تكونُ لهُ الغلَبةُ والنُّصرةُ في الدُّنيا والآخرةِ[3].

## ❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

**علَّةُ فصلِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ عمّا قبلَهُ:**

تثبيتُ فؤادِ النَّبيِّ ﷺ ووعدُه بحُسْنِ العاقبةِ

قولُهُ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ استئنافٌ نحويٌّ أو بياني؛ للتَّنويهِ بشأنِ النَّبيِّ ﷺ، وتثبيتِ فؤادِهِ، ووعدِهِ بحُسْنِ العاقبةِ في الدُّنيا والآخرةِ، وبيانِ أنَّ إنكارَ أهلِ الضَّلالِ رسالتَهُ لا يَضيرُهُ؛ لأنَّ اللّهَ أعلمُ بأنَّهُ على هدًى، وأنَّهم على ضلالٍ، بعدَ أنْ قدَّمَ لذلكَ مِنْ أحوالِ رسالةِ موسى ﷺ ما فيهِ عِبْرةٌ بالمقارنةِ بينَ حالَيِ الرَّسولَيْنِ وما لَقياهُ مِنَ المُعرضينَ[4]، وقيلَ: لمّا قرَّرَ سبحانَهُ ذِكرَ الآخرةِ الَّتي هي المرجعُ، وكرَّرَهُ، وأثبتَ الجزاءَ فيها، وأنَّ العاقبةَ للمتَّقينَ؛ أتبعَهُ ما هو في بيانِ ذلكَ كالعلَّةِ، فقالَ:

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 303، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 13/ 321.
(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 187، والبقاعي، نظم الدرر: 14/ 585، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 28.
(3) المراغي، تفسير المراغي: 20/ 104.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 191.

﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾... الآية[1]، وبناءً على هذا الوجهِ يكونُ الفصلُ لشِبْهِ كمالِ الاتِّصالِ؛ لأنَّ قولَهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ استئنافٌ تعليليٌّ لِما قبلَهُ.

### بلاغةُ افتتاحِ الآيةِ بالتَّوكيدِ:

الاهتمامُ بمضمونِ الكلامِ ومراعاة للسياق

افتُتِحَ قولُهُ تعالى شأنُهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ بحرفِ التَّوكيدِ؛ للاهتمامِ بمضمونِهِ[2] - لا سيَّما - والمقامُ مقامُ تسليةٍ للنَّبيِّ ﷺ، وتثبيتٍ لفؤادِهِ، وشدٍّ لعَضُدِهِ، وقيلَ: التَّأكيدُ لردِّ ما تقرَّرَ في أذهانِهم مِنْ إنكارِ الآخرةِ، وما يقتضيهِ حالُ خروجِهِ ﷺ مِنْ مكَّةَ المُشرَّفةِ مِن استبعادِ ردِّهِ إليها[3].

### دلالةُ التَّعبيرِ بالاسمِ الموصولِ دونَ لفظِ الجلالةِ:

الإيماءُ إلى وجهِ بناءِ الخبرِ وتعظيمِ شأنِ النَّبيِّ ﷺ

جيءَ بالمُسندِ إليهِ في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ اسمَ موصولٍ دونَ لفظ الجلالة، فلم يقل: (إنَّ اللهَ لرادُّكَ إلى مَعادٍ)؛ لِما في الصِّلةِ مِنَ الإيماءِ إلى وجهِ بناءِ الخبرِ، وأنَّهُ خبرُ الكرامةِ والتَّأييدِ، أي: إنَّ الَّذي أعطاكَ القرآنَ ما كانَ إلَّا مُقدِّرًا نصرَكَ وكرامتَكَ؛ لأنَّ إعطاءَ القرآنِ شيءٌ لا نظيرَ لهُ، فهو دليلٌ على كمالِ عنايةِ اللهِ بالمُعطَى، وفيهِ إيماءٌ إلى تعظيمِ شأنِ النَّبيِّ ﷺ[4].

### بلاغةُ التَّعبيرِ بالفَرْضِ:

التَّنبيهُ على صعوبةِ هذا التَّكليفِ

﴿فَرَضَ﴾ في قولِهِ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ معناهُ: أوجبَ عليكَ تلاوتَهُ وتبليغَهُ والعملَ بما فيهِ، وقد عُبِّرَ بالفرضِ؛ إشارةً إلى صعوبةِ التَّكليفِ، يعني: إنَّ الَّذي حمَّلكَ صعوبةَ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 374.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 192.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 374.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 192.

هذا التَّكليفِ لَمُثيبُكَ عليها ثوابًا لا يحيطُ بهِ الوصفُ[1]، أو جاء التعبير بـ﴿فَرَضَ﴾ للإشارة إلى ثبات القرآن الكريم وبقائه، ومعناهُ: أنزلَهُ عليكَ، وأثبتَهُ، والفرضُ عملُ فرضةٍ في عودٍ أو نحوِهِ، فكأنَّ الأشياءَ الَّتي تُثْبَتُ، وتبقَى، تُشبِهُ ذلكَ الفرضَ[2].

**نكتةُ التَّعبيرِ بصيغةِ الماضي في ﴿فَرَضَ﴾:**

جيءَ بصيغةِ الماضي في قولِ اللهِ تباركَ شأنُهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾؛ للدَّلالةِ على تحقُّقِ الفَرْضِ ووقوعِهِ، فهو أمرٌ قد حكمَ اللهُ بهِ في الأزلِ.

**نكتةُ تعديةِ الفَرْضِ بـ(على):**

عُدّيَ ﴿فَرَضَ﴾ بحرفِ الجرِّ (على) في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾؛ لتضمينِ فعلِ ﴿فَرَضَ﴾ معنى: (أنزلَ)؛ لأنَّ فَرْضَ القرآنِ هو إنزالُهُ[3].

**بلاغةُ التعبيرِ بـ(على) في قولِهِ: ﴿عَلَيْكَ﴾:**

**استعلاءُ التَّكليفِ وثِقلُهُ على المُكلَّف**

جاء حرف الجرِّ (على) في قولِهِ تباركَ شأنُهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾؛ للاستعلاءِ المجازيِّ، وقد شاعَ التَّعبيرُ بها في مواطنِ التَّكليفِ والفَرْضِ والإيجابِ، وكأنَّ التَّكليفَ ونحوَهُ مُستعلٍ على المُكلَّفِ، وفي ذلكَ إشعارٌ بالثِّقلِ عليهِ وعِظَمِ المسؤوليَّةِ.

**نكتةُ تقييدِ فَرْضِ القرآنِ بقولِهِ: ﴿عَلَيْكَ﴾:**

**تكليفُ النَّبيِّ ﷺ وتشريفُهُ**

قولُهُ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ معناهُ: أوجبَ عليكَ تلاوتَهُ وتبليغَهُ والعملَ بما فيهِ[4]، وقد قُيِّدَ الفَرْضُ بكونِهِ على النَّبيِّ ﷺ؛ للإشارةِ إلى أنَّهُ هو المُكلَّفُ بذلكَ أصالةً، وفي ذلكَ تشريفٌ لهُ وتعظيمٌ؛ لأنَّ عِظَمَ التَّكليفِ قرينُهُ عِظَمُ التَّشريفِ، والأجرُ على قَدْرِ النَّصَبِ.

(1) الزمخشري، الكشاف: 3/ 436.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 303.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 192.
(4) الزمخشري، الكشاف: 3/ 436.

### دلالةُ التَّعبيرِ بـ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾:

الإشارةُ إلى كونِ القرآنِ متلوًّا وانفراده بذلك

عُبِّرَ بـ ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾؛ للإشارةِ إلى كونِ القرآنِ متلوًّا مقروءًا، وفي ذلكَ مناسبةٌ للتَّعبيرِ بالفَرْضِ؛ لأنَّ أوَّلَ ما يجبُ على النَّبيِّ ﷺ قراءةُ القرآنِ وتبليغُهُ، وقد كانَ تبليغُ النَّبيِّ ﷺ للقرآنِ بقراءتِهِ على النّاسِ، والمعنى: إنَّ الَّذي أوجبَ عليكَ تلاوتَهُ وتبليغَهُ والعملَ بما فيهِ[1]، وللإشارة إلى أنَّه الكتاب السماوي الوحيد المُتعبَّد بتلاوته وقراءته، وأنَّه الكتاب الوحيد الذي اتَّصف أتباعه باستظهاره وكتابته، وسائرُ الكُتُبِ قبلَهُ لا يستظهرها أتباعها.

### سرُّ إيقاعِ الفَرْضِ على القرآنِ:

الإيجازُ مع كثرة المعاني

كما أسلفنا، فمعنى: ﴿فَرَضَ﴾ في قولِهِ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾: أنزل عليك القرآن، وأوجبَ عليكَ تلاوتَهُ وتبليغَهُ والعملَ بما فيهِ[2]؛ ولاتِّساع معنى ﴿فَرَضَ﴾ لهذه المعاني قيلَ: ﴿فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾؛ إذ لا معنى لفَرْضِ القرآنِ نفسه، لكنْ أوقِعَ الفَرْضُ عليهِ للتَّعميم، أي: إنَّ الَّذي حمَّلَكَ صعوبةَ هذا التَّكليفِ؛ ليُثيبكَ عليه ثوابًا لا يُحيطُ بهِ الوصفُ[3].

### معنى اللّامِ في ﴿لَرَآدُّكَ﴾:

تثبيتُ قلب النبي ﷺ

لامُ ﴿لَرَآدُّكَ﴾ في قولِ الحقِّ عزَّ شأنه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ لام الابتداء المنتقلة إلى الخبر - مُزحلَقةٌ -، وهي هنا داخلة في خبرِ ﴿إِنَّ﴾، وغرضُها تثبيتُ قلب النبي ﷺ بتأكيدِ ردِّه إلى عتبة داره: في الدنيا إلى مكة فاتحًا ظافرًا منتصرًا، وفي الآخرة إلى المقام المحمود في الجنَّة، وكأنَّه خُلِقَ في الجنة، وكأنَّ

(1) الزمخشري، الكشاف: 3/ 436.
(2) الزمخشري، الكشاف: 3/ 436، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 187.
(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 585.

مولده ومنشأه فيها، وفي ذلك إشارةٌ إلى مكانته ﷺ بأنَّ موطنه ومكانه الذي ينبغي أن يردَّ إليه هو الجنة.

**دلالةُ التَّعبيرِ بالرَّدِّ في ﴿لَرَآدُّكَ﴾:**

عُبِّرَ بالرَّدِّ في قولِهِ عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾؛ لأنَّ الرَّدَّ إرجاعُ الشَّيءِ إلى حالِهِ أو مكانِهِ[1]، وفي ذلكَ إشارةٌ إلى إرجاعِ النَّبيِّ ﷺ إلى مكانِهِ وموطنِهِ الذي ينبغي أن يكون فيه، وهو مكَّةُ، أو إلى مكانته ومنزلته التي ينبغي أن يكون عليها من النَّعيم في الجنَّةِ أو غيرِ ذلكَ، على اختلافِ المُفسِّرينَ في المُرادِ بالمَعادِ.

الإشارةُ إلى إرجاعِه ﷺ إلى مكانِهِ المناسب، أو حالِه التي ينبغي أن يكون عليها

**علَّةُ التَّعبيرِ بصيغةِ اسمِ الفاعلِ في ﴿لَرَآدُّكَ﴾:**

عُبِّرَ بصيغةِ اسمِ الفاعلِ في قولِهِ جلَّ شأنُهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾، ولم يقل مثلًا: (لَيردّكَ)؛ لما تفيدُهُ صيغةُ اسمِ الفاعلِ مِنْ ثبوتِ الرَّدِّ واستقرارِهِ ودوامه، وأنَّهُ أمرٌ واقعٌ لا شكَّ فيهِ، وفي ذلكَ ملاءمةٌ لمقامِ تثبيتِ فؤادِ النَّبيِّ ﷺ، ووعدِهِ بحُسْنِ العاقبةِ في الدُّنيا والآخرةِ.

دلالةُ اسمِ الفاعلِ على الثُّبوتِ والاستقرارِ والدوام

**دلالةُ التعبيرِ بـ ﴿إِلَىٰ﴾:**

يُفيد حرفُ الجرِّ ﴿إِلَىٰ﴾ في قولِهِ تعالى ذِكْرُهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ انتهاءَ الغاية، وهو يشير إلى وعد الله المُنجَز بحُسن العاقبة في الزمان (الدنيا والآخرة) والمكان (مكَّة والجنَّة).

الإشارةُ إلى حسن العاقبة

**سرُّ التَّعبيرِ بصيغة ﴿مَعَادٍ﴾:**

﴿مَعَادٍ﴾ اسمُ مكانِ العود، أو اسم زمانه أو مصدره، فيكون المعنى: لرادُّك إلى مكانك الذي يُعيدك فيه، ولرادُّك في زمان علمه في الأزل، أو لرادك إلى عود حميد يناسب منزلتك ومكانتك،

احتمالُ كلِّ صيغة لمعنًى جديدٍ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 192.

كقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: 4]، أي: رجوعكم، وزمان الرجوع، ومكانه.

### غرضُ الإخبارِ بالرَّدِّ إلى مَعادٍ:

اتِّساعُ المعاني مع اللفظِ الواحدِ

اختُلِفَ في المُرادِ بالمَعادِ في قولِهِ تعالى: ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ - كما تقدم - فقيلَ: الآخِرةُ، أي: باعثُكَ بعدَ الموتِ، فالمَعادُ في الأصلِ: الموضعُ الَّذي يُعادُ إليهِ، وقد اشتُهِرَ بهِ يومُ القيامةِ؛ لأنَّهُ مَعادُ الكلِّ، فمَقْصِدُ الآيةِ على هذا إثباتُ الحَشْرِ والإعلامُ بوقوعِهِ، وقيلَ: المَعادُ: الجنَّةُ، وعلى هذا ففي الآيةِ تسليةٌ وتثبيتٌ وتكريمٌ للنَّبيِّ ﷺ، وقيلَ: المَعادُ: الموتُ، والآيةُ على هذا واعظةٌ ومُذكِّرةٌ[1]، وقيلَ: المَعادُ: مكَّةُ، والآية على هذا مُعلِمةٌ بأمرٍ غيبيٍّ قد ظهرَ للأُمَّةِ، ومُؤنِسةٌ بفتحِ[2]، وقيلَ: المَعادُ: المقامُ المحمودُ الَّذي وُعِدَ النَّبيُّ ﷺ أنْ يُبْعَثَ فيهِ[3]، وعلى هذا ففي الآيةِ تسليةٌ وتثبيتٌ وتكريمٌ له ﷺ.

### بلاغةُ التَّعبيرِ بالمَعادِ في ﴿إِلَىٰ مَعَادٍ﴾:

الجمعُ بين الحقيقةِ والمجازِ

يجوزُ أنْ يكونَ المَعادُ في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ مُستعمَلًا في معنى آخِرِ أحوالِ الشَّيءِ وقَرارِهِ الَّذي لا انتقالَ منهُ؛ تشبيهًا بالمكانِ العائدِ إليهِ بعدَ أنْ صدرَ منهُ، ويجوزُ أنْ يرادَ بالمَعادِ معناهُ المشهورُ القريبُ مِنَ الحقيقةِ، وهو ما يعودُ إليهِ المرءُ إنْ غابَ عنهُ، فيرادُ بهِ هنا بلدُهُ الَّذي كانَ بهِ، وهو مكَّةُ[4].

### بلاغةُ الكنايةِ في ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾:

الوعدُ بالرَّدِّ كنايةٌ عن دخولِ مكَّةَ بالفتحِ بعدَ الخروجِ منها بالهجرةِ

يجوزُ - كما تقدَّمَ - أنْ يُرادَ بالمَعادِ في قولِهِ سبحانَهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ معناهُ المشهورُ القريبُ مِنَ

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 303.
(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 13/ 321.
(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 187، والبقاعي، نظم الدرر: 14/ 585، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 28.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 192.

الحقيقةِ، وهو ما يعودُ إليهِ المرءُ إنْ غابَ عنهُ؛ فيرادُ بهِ هنا بلدُهُ الَّذي كانَ بهِ، وهو مكَّةُ المكرمة.

وهذا الوجهُ يقتضي أنَّهُ كنايةٌ عن خروجِهِ منها ثمَّ عَوْدِهِ إليها؛ لأنَّ الرَّدَّ يستلزمُ المفارقةَ، ولمّا كانتِ السّورةُ مكّيَّةً، ورسولُ اللّهِ ﷺ في مكَّةَ؛ فالوعدُ بالرَّدِّ كنايةٌ عن الخروجِ منها قبلَ أنْ يُرَدَّ إليها.

وقيلَ: هذهِ الآيةُ نزلَتْ على النَّبيِّ ﷺ وهو في الجُحْفةِ في طريقِهِ إلى الهجرةِ، فيكونُ الوعدُ بالرَّدِّ كنايةً عن دخولِهِ إليها فاتحًا لها ومُتمكِّنًا منها[1]، أو يكون مُرادًا به الآخرة، فيكون الرَّدُّ إلى منزلةٍ عُليا ومكانةٍ عظمى.

**نكتةُ تنكيرِ ﴿مَعَادٍ﴾:**

تعظيمُ المعادِ وتفخيمُهُ

تنكيرُ ﴿مَعَادٍ﴾ في قولِ الحقِّ جلَّتْ قدرتُهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾؛ للتَّعظيمِ والتفخيم[2]، كما يقتضيهِ مقامُ الوعدِ والبشارةِ[3]، فإنْ كانَ المرادُ بالمَعادِ الحياةَ الآخرةَ؛ فالمعنى: لَرادُّكَ بعدَ الموتِ إلى مَعادٍ عظيمِ الشَّأنِ، ليسَ لغيرِكَ مِنَ البشرِ[4]، أي: فأبشِرْ بما تلقَى في مَعادِكَ مِنَ الكرامةِ الَّتي لا تعادلُها كرامةٌ، والَّتي لا تُعطَى لأحدٍ غيرِكَ، وترتُّبُ المَعادِ على الصِّلةِ أفادَ أنَّهُ لا يُعطَى لغيرِهِ مِثْلُهُ، كما أنَّ القرآنَ لم يُفرَضْ على أحدٍ مِثْلِهِ[5].

وإنْ كانَ المُرادُ ردَّهُ ﷺ إلى مكَّةَ يومَ الفتحِ؛ فوجهُ تنكيرِ ﴿مَعَادٍ﴾: أنَّها كانَتْ في ذلكَ اليومِ مَعادًا لهُ شأنٌ، ومَرْجعًا لهُ اعتدادٌ؛ لغلَبةِ رسولِ اللّهِ ﷺ عليها، وقَهْرِهِ لأهلِها، ولظهورِ عِزِّ الإسلامِ وأهلِهِ، وذُلِّ الشِّركِ وحِزْبِهِ[6].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 192.
(2) السمين، الدر المصون: 8/ 700، والخفاجي، عناية القاضي: 7/ 88.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 192.
(4) الزمخشري، الكشاف: 3/ 436.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 192.
(6) الزمخشري، الكشاف: 3/ 436، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 19.

**سِرُّ فصل قوله: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ﴾ عمّا قبلَهُ:**

قوّةُ الارتباط والاتصال بين الجملتَيْن مع تعدُّدِهِ

وجهُ اتِّصالِ قولِهِ تعالى: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ وَمَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ بما قبلَهُ: أنَّهُ ﷺ لمّا وعدَ رسولَهُ الرَّدَّ إلى مَعادٍ؛ قالَ: قلْ للمشركينَ: ربّي أعلمُ مَنْ جاءَ بالهدى - يعني نفسَهُ - وما يستحقُّهُ مِنَ الثوابِ في مَعادِهِ، ومَنْ هو في ضلالٍ مُبينٍ - يعنيهم - وما يستحقّونَهُ مِنَ العقابِ في مَعادِهم[1].

إذا أُريدَ به مكة المكرمة

هذا إذا أُريدَ بالمَعادِ الإثابةُ والرُّجوعُ إلى مقاماتِهِ العاليةِ في الآخرةِ، وأمّا إذا أُريدَ بالمَعادِ مكَّةَ؛ فالمعنى: إنَّ الَّذي حَباكَ نعمةَ الدّينِ - لا سيَّما هذا الكتابُ الكريمُ الَّذي دونَهُ كلُّ نعمةٍ - يمنحُكَ فتحَ مكَّةَ، ويردُّكَ إلى مَسْقَطِ رأسِكَ، فقل لأعدائِكَ: موتوا كَمَدًا، ربّي أعلمُ مَنْ جاءَ بالهدى منّا ومنكُم، ومَنْ هو في ضلالٍ مُبينٍ، ينصرُ المهتديَ، ويخذلُ الضّالَّ[2]، وإنْ كانَ المرادُ بهِ مكَّةَ؛ فالكلامُ كنايةٌ عن خروجِهِ منها، ثمَّ عَوْدِهِ إليها؛ لأنَّ الرَّدَّ يستلزمُ المفارقةَ.

إذا أُريد به الدار الآخرة

وقيلَ: إنْ كانَ المرادُ بالمَعادِ الحياةَ الآخرةَ؛ فالمعنى: أبشِرْ بما تلقَى في مَعادِكَ مِنَ الكرامةِ الَّتي لا تعادلُها كرامةٌ، والَّتي لا تُعطَى لأحدٍ غيرِكَ، وعلى الوجهِ الأوَّلِ تكونُ جملةُ: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ وَمَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ بمنزلةِ التَّفريعِ على جملةِ: ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖۚ﴾، أي: لَرادُّكَ إلى يومِ المَعادِ، فمُظهِرُ المُهتديَ والضّالَّ، وعلى الوجهِ الثّاني تكونُ الجملةُ بمنزلةِ الموادعةِ والمتاركةِ وقطعِ المجادلةِ، فالمعنى: عُدْ عن إثباتِ هُداكَ وضلالِهم، وكِلْهُم إلى يومِ ردِّكَ إلى مَعادِكَ، حيثُ يتبيَّنُ أنَّ اللّهَ نصرَكَ، وخذلَهم.

وعلى المعنيَيْنِ، فجملةُ ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ﴾ مستأنفةٌ استئنافًا بيانيًّا

(1) الزمخشري، الكشاف: 3/ 436.
(2) الطيبي، فتوح الغيب: 12/ 124.

عن جملةِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾؛ جوابًا لسؤالِ سائلٍ يُثيرُهُ أحدُ المعنيَيْنِ[1]، ولذلكَ فُصِلَتْ عنها.

**تعيينُ المُخاطَبِ بقولِهِ: ﴿قُل﴾:**

المأمورُ بالقولِ في قولِ الحقِّ جلَّ ثناؤُهُ: ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ هو النَّبيُّ ﷺ؛ لأنَّهُ هو المُكلَّفُ بتبليغِ الشَّرعِ، والمعنى: قُلْ يا محمَّدُ لهؤلاءِ المشركينَ وغيرِهم: ربّي أعلمُ مَنْ جاءَ بالهُدى ومَنْ هو في ضلالٍ مُبينٍ.

المُخاطَبُ هو النَّبيُّ ﷺ وحدَهُ

ويدلُّ على أنَّهُ هو المُخاطَبُ أيضًا سياقُ الكلامِ السّابقِ، وهو قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾؛ فالخطابُ فيهِ لهُ وحدَهُ.

ولا مانع من كون الخطاب له وحدَهُ مِن أن تكونَ الأمَّة تبعًا له في ذلك، مع أنَّ الخطاب ليس لها؛ لأنَّها تبعٌ له في القرآن، مع أنَّ الخطاب في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ مخصوصٌ بالنبي ﷺ، ويكون في ذلك إشارةٌ وبشارة بغلبة المسلمين على أعدائهم، ورجوعهم إلى الحقِّ المبني على القرآن، ووجوب تبليغهم دينَ الله إلى الناس.

**غرضُ الأمرِ في ﴿قُل﴾:**

الظّاهرُ أنَّ الأمرَ في قولِهِ ﷺ: ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ للوجوبِ؛ لأنَّهُ الأصلُ في صيغةِ الأمرِ، ولا صارفَ عنهُ هنا، فيُفيدُ الكلامُ وجوبَ أنْ يُبلِّغَ النَّبيُّ ﷺ الكلامَ المذكورَ.

الأمـرُ يفيد وجوب أنْ يُبلِّغَ النَّبيُّ ﷺ الكلامَ المذكورَ

**دلالةُ التَّعبيرِ بعُنوانِ الرُّبوبيَّةِ في قولِهِ: ﴿رَّبِّىٓ﴾:**

جيءَ بعُنوانِ الرُّبوبيَّةِ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾؛ لمناسبةِ هذا الاسمِ الجليلِ لمقامِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 192.

الوعدِ والبِشارةِ بردِّ النَّبيِّ ﷺ إلى مَعادٍ عظيم؛ لأنَّ هذا الاسمَ يُنبِئُ بحسَبِ معناهُ اللُّغويِّ عن التَّربيةِ والإنعامِ والإحسانِ، والمعنى: (قلْ: ربّي - أي: المُحسِنُ إليَّ - أعلمُ مَنْ جاءَ بالهُدى، إلخ)[1].

مناسبةُ لفظِ الرُّبوبيَّةِ لسياقِ الوعدِ والبِشارةِ

**لطيفةُ الإضافةِ في ﴿رَبِّيٓ﴾:**

تشريفُ النَّبيِّ ﷺ

أُضيفَ لفظُ الرَّبِّ إلى ضميرِ المُتكلِّمِ الرّاجعِ إلى النَّبيِّ ﷺ في قولِهِ تعالى شأنُهُ: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ وَمَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾؛ لتشريفِ النَّبيِّ ﷺ بكونِهِ مربوبًا للّهِ تعالى، فكأنَّه ربُّهُ وحدَه المُختصُّ به دون غيره، وفي ذلكَ إيماءٌ إلى كمالِ عُبوديَّتِهِ ﷺ للّهِ تعالى، والعبودية أكرمُ صفةٍ يتحلَّى بها المخلوقُ، وفي هذهِ الإضافةِ أيضًا تعريضٌ بآلهةِ المشركينَ الَّتي لا تضرُّ، ولا تنفعُ، ولا تعلمُ شيئًا.

**سرُّ التَّعبيرِ باسمِ التَّفضيلِ ﴿أَعۡلَمُ﴾:**

التَّنبيهُ على سَعةِ العلمِ وشموله الغيبةَ والشهادةَ

جيءَ باسمِ التَّفضيلِ ﴿أَعۡلَمُ﴾ في قولِهِ جلَّ شأنُهُ: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ وَمَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾، معَ أنَّهُ مسلوبُ المفاضلةِ؛ لأنَّ المقصودَ منهُ بيانُ سَعةِ علمِهِ ﷺ وشموله الغيبة والشهادة، وقيلَ: المعنى: أعلمُ مِنْ كلِّ أحدٍ[2]، وعلى هذا ففي الكلامِ حذفُ (مِنْ) والمُفضَّلِ عليهِ، وذلكَ ضربٌ مِنَ الإيجازِ.

**سرُّ التعبيرِ بـ ﴿مَن﴾ في قوله: ﴿مَن جَآءَ﴾:**

في أغلب الوجوه أنَّه إيجازٌ بالحذف دلَّ على المحذوف فيه سياق الكلام

﴿مَن﴾ في قولِهِ ﷻ: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ تحتمل وجوهًا، **الأول:** أنَّها في محلِّ نصب بفعلٍ مُضمَرٍ، أي: أعلم من غيره، أو أعلم منكم، يعلمُ مَن جاء بالهدى. **والثاني:** أنَّ ﴿مَن﴾ منصوبة على نزع الخافض، والتقدير: (أعلم بمَن جاء بالهدى)، وقد جاءت في القرآن الكريم مصرَّحًا بها في قول اللّه ﷻ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ﴾ [القصص: 37]. والثالث: أنَّها منصوبة

(1) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 377.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 377.

بـ﴿أَعۡلَمُ﴾ مع نزع صفة التَّفضيل منه، فيكون بمعنى: عالم، ويعمل عمله، أيْ: ربي عالِم مَن جاء بالهدى؛ لأنَّ أفعلَ التفضيل لا ينصبُ المفعولَ بهِ[1]، وفي هذه الوجوه عدا الأخير إيجازٌ بالحذف، دلَّ على المحذوف فيه سياق الكلام.

### بلاغةُ التَّعبيرِ بالاسمِ الموصول المشترك ﴿مَن﴾:

الإشـــارةُ إلى مكانة الداعين إلى الهداية

في التَّعبيرِ بالاسم الموصول عمومًا دلالةٌ على عِليَّة ما منه الصِّلة، فكأنَّ تخصيص تعلُّق علم الله تعالى بهم هو مجيئهم بالهداية، مع أنَّ علمه متعلِّق بكلِّ معلوم، وفي هذا إشارة إلى مكانة النبي ﷺ فهو أفضل مَن جاء بالهدى، ثم إلى الداعين إلى الهداية من بعده، الذين جاؤوا بها من مصدرها الأصيل، وهو القرآن المُشار إليه بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾؛ ولذلك جاء بالاسم الموصول المشترك ﴿مَن﴾ الذي لفظه لفظُ المُفرد، ومعناه معنى الجمع؛ ليُشير بلفظه المفرد إلى النَّبي ﷺ أوَّل مَن جاء بالهُدى، وبمعناه؛ ليشمل كلَّ مَن جاء بالهدى من بعده سائرًا على سبيله، داعيًا إلى الله على بصيرة.

### نكتةُ التَّعبيرِ عن المُهتدي بـ﴿مَن جَآءَ﴾:

الإشـارةُ إلى أنَّ الهُدى لم يكنْ معروفًا مِنْ قبلُ

عُبِّرَ عن جانبِ المُهتدي في قولِهِ سبحانَهُ: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ وَمَنۡ هُوَ فِى ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ بفعلِ ﴿مَن جَآءَ﴾؛ للإشارةِ إلى أنَّ المُهتديَ هو الَّذي جاءَ بهُدًى لم يكنْ معروفًا مِنْ قبلُ، كما يقتضيهِ قولُهم: جاءَ بكذا[2]؛ لأنَّ الإنسان لا يضرُّ نفسه؛ إذ كيف يأتي بهُدًى للناس، ثمَّ لا ينتفع هو به، فكأنَّه قال: قل ربّي أعلم مَنْ جاء بالهُدى، وانتفع به.

### بلاغةُ التَّعبيرِ بصيغةِ الماضي في ﴿جَآءَ﴾:

الإشـــارةُ إلى تحقُّقِ المجيءِ بالهُدى

جيءَ بصيغةِ الماضي في قولِ اللهِ تعالى: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ مَن جَآءَ

(1) الخفاجي، عناية القاضي: 7/ 88.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 192.

﴿بِٱلْهُدَىٰ﴾؛ للتَّنبيهِ على تحقُّقِ المجيءِ بالهُدى ووقوعِهِ، وأنَّهُ أمرٌ لا شكَّ فيهِ ولا ارتيابَ، كالأمر الذي وقع بالفعل، وتحقَّق.

**سِرُّ مجيء الفعل ﴿جَآءَ﴾ مُفردًا:**

إعلاءُ شأنِ النَّبيِّ ﷺ

لمّا كان الخطابُ في سياق تثبيتِ قلب النَّبي ﷺ وتسليته؛ كان من لوازم ذلك تثبيتُ إعلاء شأنه ﷺ ورفع مكانته، ولذلك ورد الفعل ﴿جَآءَ﴾ مفردًا في صلة ﴿مَن﴾؛ مراعاةً للفظها مع جواز إتيانه جمعًا مراعاةً لمعناها، فكأنَّ الخطاب في الآية كلِّها له وحدَهُ، فأنت وحدك الذي فرض عليك القرآن، وأنت وحدك الذي تردُّ إلى معادٍ أيِّ معادٍ، وبلِّغ ذلك للناس، فقل: (ربّي الذي يعلم كلَّ شيء، يعلم أنّي على هداية، وأنّي الذي جئت بالهدى، وأنَّ مَن لم يقبل هداي؛ ففي ضلال مبين)، مع أنَّ أتباعَهُ - السائرين على دربه وتحت جناحه - مشتركون معه في الانتفاع بالقرآن، وفي الردِّ إلى معادٍ ما، وربُّهم هو ربُّه ﷻ الذي يعلم كلَّ شيء، لكن كل ذلك قد تلاشى بجوار إعلاء شأن النَّبي ﷺ وعلوِّ منزلته وبيان فضله، فصار كالعدم.

**بلاغةُ الباءِ في قوله تعالى: ﴿بِٱلْهُدَىٰ﴾:**

الإشـــارةُ إلى مصاحبة النَّبي ﷺ للهُدى

تحتمل الباءُ في قوله ﷻ: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ المصاحبة والإلصاق، وكلا المعنيَيْن يشير إلى قوَّة مُلازمة النبي ﷺ للهُدى منذُ مجيئِهِ به، ومصاحبته له والتصاقه به ومعايشته قولًا وفعلًا لكلِّ أنواع الهدى وأصنافه وأجناسه على ما سيأتي الإشارة إليه عمّا قريبٍ في دلالة تعريف الهدى.

**بلاغةُ تعريفِ الهدى في قوله: ﴿بِٱلْهُدَىٰ﴾:**

اتِّـساعُ المعنى باعتبار العهد والـجـنـس والاستغراق

يحتمل أن يكون التعريفُ للعهد، ويرشح هذا ذِكر القرآن في صدر الآية الكريمة، وهو مصدر الهدى وأصلُهُ، ويحتمل أن يكون التعريف للجنس، كأنَّ جنسَ الهدى لا يخرج عمّا جاء به النبيُّ ﷺ، ويحتمل أن يكون لاستغراق الأفراد أو الأجزاء، أو هما معًا، أي:

جاء بكلِّ أفراد الهدى وأنواعه وأقسامه، والمقصود من كلِّ ذلك هو الإشارةُ إلى كمالِ الهُدى، وأنَّهُ لا يَشوبُهُ شيءٌ مِنَ الضَّلالِ.

**بلاغةُ العطفِ بالواو في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ﴾:**

شمولُ علمِ الله تعالى لكلِّ مُهتدٍ وضالٍّ

الواوُ في قولِهِ سبحانَهُ: ﴿وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ للعطفِ، و(مَنْ) هنا معطوفةٌ على ﴿مَن﴾ في قولِهِ: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾، فكلٌّ مِنَ المُهتدي والضّالِّ داخلٌ في حيِّزِ علمِ اللهِ.

**دلالةُ ذِكْرِ الضَّميرِ ﴿هُوَ﴾:**

معرفةُ أهلِ الضلال ووضوحهم

جيءَ بضميرِ ﴿هُوَ﴾ في قولِهِ عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾، ولم يقل: (ومَنْ في ضلالٍ مُبينٍ)؛ لأنَّ الضميرَ من أعرف المعارف، وهو هنا جزءٌ من صلة الموصول (من) عائد عليه، وكأنَّ مَن هو في ضلال مبين معروفٌ، وإن لم يجرِ له ذِكْرٌ؛ لظهور صفة الضَّلال فيه.

**السِّرُّ في إفراد الضمير ﴿هُوَ﴾:**

أهلُ الضلال وإن كثروا لا قيمة لهم

جاء الضمير ﴿هُوَ﴾ مفردًا في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾، وهو عائد على لفظ اسم الموصول (من)، ولم يقل: (ومن هم)، فيكون الضَّمير عائدًا على معنى (من)، للإشارة إلى أنَّ كلَّ مَنْ هم في ضلال مبين في علم الله ﷻ، وما يترتَّب على ذلك من تمكُّنه سبحانه منهم، ومجازاتهم في الدُّنيا والآخرة، كالفرد الواحد، فلا قيمة لهم؛ وإن عظم جمعُهم، وكثر سوادُهم.

**بلاغةُ ﴿فِي﴾ الظرفيَّة في قوله: ﴿فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾:**

إحاطةُ الضلال بالمشركين من كل جانبٍ

حرفُ الجرِّ ﴿فِي﴾ الدّالُّ على الظَّرفيَّةِ المكانيَّةِ المجازيَّةِ في قولِهِ تباركَ شأنُهُ: ﴿وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ يفيدُ انغماسَ المشركينَ في الضَّلالِ وإحاطتَهُ بهم[1]، وكأنَّ الضَّلالَ ظرفٌ أو وِعاءٌ يُحيطُ بهم

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 192.

مِنْ جميعِ الجوانبِ، فلا يستطيعون منه خروجًا ولا عنه حراكًا، وفي ذلكَ مزيدُ تقبيحٍ لحالِهم، واستجلابٍ للإنكارِ عليهِم.

**علَّةُ تنكيرِ ﴿ضَلَٰلٍ﴾:**

نُكِّرَ ﴿ضَلَٰلٍ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾؛ لتفخيمِ شأنِ الضَّلالِ وتعظيمِهِ، أي: في ضلالٍ أيِّ ضلالٍ، في ضلالٍ عظيمِ الشَّأنِ، لا تُحيطُ بهِ العِبارةُ.

**دلالةُ وصفِ الضَّلالِ بكونِهِ مُبينًا:**

المبالغةُ في ظهورِ الضَّلالِ

وُصِفَ الضَّلالُ في قولِهِ جلَّ ثناؤُهُ: ﴿وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ بكونِهِ مُبينًا؛ للمبالغةِ في ظهورِهِ، أي: في ضلالٍ بيِّنٍ في نفسِهِ، مُبيِّنٍ سوءَ حالِ صاحبِه، فيظهرُ لكلِّ أحدٍ ما فيهِ مِنْ خَلَلٍ، وإنِ اجتهدَ صاحبُهُ في سَتْرِهِ[1]، وفي هذا مِنَ المبالغةِ في ظهورِ ضلالِ المشركينَ، وفي ذلكَ مناسبةٌ لمقامِ التَّشنيعِ عليهِم وتقبيحِ حالِهم، ببيانِ أنَّهم لا يَرْجِعونَ عنهُ معَ شدَّةِ ظُهورِهِ.

**بلاغةُ المجازِ في إسنادِ الإبانةِ إلى الضلالِ:**

المبالغةُ في فضيحةِ أهلِ الضَّلالِ

أُسنِدت الإبانةُ إلى الضلالِ في اسمِ الفاعلِ ﴿مُّبِينٍ﴾ - على طريقةِ المجازِ العقلي - للدَّلالةِ على شدَّةِ وضوحِ الضلالِ فيهم، وكأنَّ الضَّلالَ نفسَهُ إنسانٌ عاقلٌ يُبيِّنُ حالَ أهلِ الضَّلالِ، ويفضحُ اتِّصافَهم بهِ وانغماسَهم فيهِ.

**علَّةُ التَّعبيرِ بالموصولِ في ﴿مَن جَآءَ﴾ و﴿وَمَنْ هُوَ﴾:**

التَّلطُّفُ في نسبةِ الضَّلالِ إلى المشركينَ

قولُهُ سبحانَهُ: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ مقصودٌ بهِ النَّبيُّ ﷺ، وقولُهُ: ﴿وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ مقصودٌ بهِ المشركونَ[2]، وقد عُبِّرَ عنِ الطَّرفيْنِ بالموصولِ المُفيدِ للإبهامِ، ولم يُعيَّنِ المقصودُ بهما؛

(1) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 377.

(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 20.

للتَّلطُّفِ في نسبةِ المشركينَ إلى الضَّلالِ، وإظهارِ المُساهَلةِ معَهم[1]، وإرخاءِ العنانِ لهم، لعلَّ في ذلكَ استنزالًا لطائرِ كِبْرِهم وعِنادِهم.

**بلاغةُ الجمعِ بينَ الهُدى والضَّلالِ:**

جُمِعَ بينَ الهُدى والضَّلالِ في قولِ الحقِّ جلَّ ذكرُهُ: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ وَمَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾؛ رِعايةً للطِّباقِ بينَ اللَّفظيْنِ وفي ذلك من البديع ما فيه؛ ليكونَ أمامَ القارئِ صورتانِ متقابلتانِ، إحداهما فيها طَرَفٌ جاءَ بالهُدى والإرشادِ لِما فيهِ سعادةُ الدُّنيا والآخرةِ، وأخرى فيها طَرَفٌ مُنغمسٌ في غَيِّهِ وضلالِهِ، لا يُرجَى لهُ خلاصٌ منهما، فيظهرُ بذلكَ حُسْنُ الهُدى وقُبْحُ الشِّركِ؛ إذ الضِّدُّ يُظهِرُ حُسْنَهُ الضِّدُّ.

تـزيـينُ الـكـلام وتحسينه

**بلاغةُ الكنايةِ في ﴿أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ الآيةَ:**

إنْ كانَ المرادُ بالمَعادِ الحياةَ الآخرةَ؛ فجملةُ: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ وَمَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ بمنزلةِ التَّفريعِ على جملةِ: ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖۚ﴾، أي: لَرادُّكَ إلى يومِ المَعادِ، فمُظهِرُ المُهتديَ والضّالَّ، فيكونُ علمُ اللهِ بالمُهتدي والضّالِّ كنايةً عن اتِّضاحِ الأمرِ بلا ريبٍ؛ لأنَّ علمَ اللهِ سبحانَهُ لا يعتريهِ تلبيسٌ، وهذهِ الكنايةُ تعريضٌ بالمشركينَ أنَّهم الضّالّونَ، وأنَّ النَّبيَّ ﷺ هو المُهتدي[2].

عِـلـمُ الـلـهِ بالمُهتدي والضّالِّ كنايةٌ عن اتِّضاحِ الأمرِ بلا ريبٍ

**سرُّ الحذفِ المتكرِّرِ في قولِه: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ﴾:**

أصلُ الكلامِ: (قل ربي أعلم بمَن جاء بالهدى بالبينة والبرهان، وعاش فيه، فأحاط به الهدى من كلِّ جانب، ومَن جاء بالضلال من غير بينة ولا برهان، فانغمس فيه وأحاطه من كلِّ جانب)، فحَذَفَ جملة: (ومَن هو في هدى مبين)؛ لدلالة قوله: (ومن هو في ضلال مبين عليه)، وحذف من الثانية (من جاء بالضلال من عند نفسه)، أي: بلا بيِّنة ولا برهان، لدلالة: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ عليه[3].

دلالـةُ الإيـجـازِ بـالـحـذف مع وضـوح الـدلالـة على المحذوف

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 8/ 331.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 192.

(3) هذا ما يُعبِّر عنه المُتقدمون بالحذف المتكرر، أو الحذف المقابل على حد تعبير الزركشي، ويُعبِّر عنه المتأخرون كالبقاعي والسيوطي بالاحتباك.

وإنَّما حُذِفَ من الجملة الأولى ما حُذِفَ؛ لأنَّ ما قبله دالٌّ عليه، وهو سبب فيه، والمحذوف علَّةٌ ذاتية للمذكور؛ إذ كيف يدعو رجل الناس للانتفاع بهدًى جاء به، ثم هو لا ينتفع؟.

حـذفُ (مَـن جاء بالضلال)

حُذِفَ من الجملة الثانية (من جاء بالضلال)؛ لأنَّ الذي هو في ضلال مبين إنَّما وصل إلى هذه الدرجة من الوصف، بأنَّه جاء بالضلال المبين ليَدعوَ الناس إليه، وبالتالي يكون هو أوَّلَ من ضلَّ.

## ❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

### الفَرْضُ والحَتْمُ:

الفَرْضُ يكونُ في الأوامرِ، والحَتْمُ يكونُ في الأحكامِ والأقضيةِ

فُرِّقَ بينَ الحَتْمِ والفَرْضِ: بأنَّ الحَتْمَ إمضاءُ الحُكمِ على التَّوكيدِ والإحكامِ، وليسَ هو مِنَ الفَرْضِ والإيجابِ في شيءٍ؛ لأنَّ الفَرْضَ والإيجابَ يكونانِ في الأوامرِ، والحَتْمَ يكونُ في الأحكامِ والأقضيةِ، وإنَّما قيلَ للفَرْضِ: فَرْضٌ حَتْمٌ، على جهةِ الاستعارةِ، والمُرادُ: أنَّهُ لا يُرَدُّ، كما أنَّ الحُكمَ الحَتْمَ لا يُرَدُّ[1].

### الرَّدُّ والرُّجوعُ:

الرُّجوعُ يدلُّ على التَّكرارِ

فُرِّقَ بينَ الرَّدِّ والرُّجوعِ مِنْ جهتينِ: إحداهما: أنَّ الرُّجوعَ يدلُّ على التَّكرارِ، كما في قولِهِ تعالى: ﴿فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ﴾ [الملك: 3 - 4]. والأخرى: أنَّ رجوعَ الشَّيءِ إلى ما كانَ عليهِ بخُطواتٍ متتاليةٍ بنحوِ انصرافِهِ عنهُ يُسمَّى رجوعًا، كقولِكَ: خرجَ فلانٌ مِنْ بيتِهِ صباحًا، ورجعَ إليهِ مساءً، أمّا رجوعُهُ إليهِ بخلافِ ذلكَ؛ فيُسمَّى ردًّا[2].

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 175.
(2) زيدان، الفروق اللغوية، ص: 236 - 239.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والأربعون،
سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والأربعون، سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 41 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-92-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 41 : المجلد الحادي والأربعون، سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث
---
الترقيم الدولي : 978-9948-732-92-1
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-2914887 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»